جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الثانى

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

التجارة صورة زاهرة لتطور العلوم الاقتصادية

(تجارة شبه الجزيرة العربية أنموذجاً)

ا.د. فراس سليم حباوي

كلية التربية الاساسية /جامعة بابل

التجارة صورة زاهرة لتطور العلوم الاقتصادية

(تجارة شبه الجزيرة العربية أنموذجاً)

ا.د. فراس سليم حباوي

كلية التربية الاساسية /جامعة بابل

المقدمة:

تّعد التجارة صورة من صور الحياة الاقتصادية ولا نغالي ان قلنا أنها هي الصورة الاكثر بروزاً لا سيما في الحضارات القديمة والعصور الاسلامية الاولى، فالتجارة كانت اهم جوانب الحياة الاقتصادية والنشاط الذي شهد تعاملاً اكثر من بقية النشاطات من ناحية العمل فيه الى جانب الزراعة التي يعتمد عليها في توفر القوت اليومي وفي احيان قليلة كان يعتمد بتوفير مصدر للرزق، لذلك كانت التجارة هي النشاط الابرز في هذا الجانب، لا سيما اذا علمنا ان الصناعة كانت قليلة في المناطق العربية خلال الحقبة قيد الدراسة.

شهدت مناطق الجزيرة العربية نشاطاً تجارياً واضحاً قبل الاسلام، وقد اشار القران الكريم الى ذلك في عدد من الآيات الكريمة منها: قوله تعالى:﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [١]، وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ... وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ... ﴾[٢]، وغيرها من الآيات الكريمة.

وكانت قبيلة قريش تتصدر القبائل بالعمل بالتجارة قبل الاسلام، بل الرسول الكريم (ص) نفسه عمل بالتجارة قبل نزول الوحي عليه، ومع الفترات الاسلامية ظهرت مدن اصبح لها قصب السبق بان تكون من المدن التجارية الواقعة على البحر الاحمر الذي شهد نشاطاً اقتصادياً متميزاً استمر في الحقب التاريخية اللاحقة، وهذا الامر ينطبق على المدن المطلة على منطقة الخليج العربي والبحر المتوسط التي كان لها نفس التميز في هذا المضمار.

أهمية شبه الجزيرة العربية:

---

[١] سورة النور: الآية ٣٧.

[٢] سورة التوبة: الآية ٢٤.

تحتل شبه جزيرة العرب اهمية كبيرة في الجوانب الدينية والاقتصادية والتاريخية والجغرافية، وذلك لأنها تضم مدناً ذات مكانة جليلة لديهم مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة، فهما مهبط الوحي، ومستقر الرسالة، وفيهما عقدت رايات الفتح ووجهت شرقاً وغرباً، ومنها انتشر دين الاسلام وعمت مبادئه ارجاءً واسعة من المعمورة .[١]

وسمية شبه جزيرة بهذا الاسم لإحاطة المياه بها من ثلاث جهات بشكل كامل[٢] وسميت بشبه جزيرة العرب دون غيرهم من الاقوام وذلك لأنه " لم يسكنها الا العرب العاربة ثم المستعربة"[٣] وان اللسان العربي شائع في ارجائها،[٤] وتمتد شبه جزيرة العرب من اقصى عدن[٥] الى الاطراف الجنوبية من بلاد الشام طولاً، ومن ساحل بحر القلزم (البحر الاحمر) الى ريف العراق والخليج العربي وخليج عُمان عرضاً[٦] وفي ضوء ما اورده البكري(ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٧]: " انها من عدن الى ريف العراق او ما بين نجران[٨] والعذيب[٩] طولاً، ومن جدة[١٠] الى ريف العراق عرضاً ".

---

(١) المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد،(ت٣٧٥هـ/٩٨٦م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ،مطبعة بريل ، (ليدن، ١٩٠٦م) ، ص٦٧.

(٢) ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ، (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، تقويم البلدان ، دار صادر، (بيروت ، د.ت) ، ص٧٧ ؛ القلقشندي ، ابو العباس احمد بن عبد الله ، (ت٨٢١هـ/١٤١٧م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة ، ١٩١٥م) ، ج٥ ، ص٥.

(٣) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح: خليل شحادة ، دار الفكر ، (بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ج٢ ، ص ص٢١-٥٢ ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ، ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص ص٣٥٤ . ٣٩٤ ؛ نبيلة حسن محمد ، في تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية ، ١٩٩٣م) ، ص٤٨.

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٤٧.

(٥) عدن: مدينة مشهورة وهي ميناء اليمن الرئيس ، رديئة لا ماء بها ولا مرعى ، وهذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند ، والتجار يجتمعون اليه لأجل ذلك فإنما بلدة تجارة. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٤، ص٨٩.

(٦) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٧٨.

(٧) معجم ما استعجم، ج١، ص٦.

(٨) نجران: وهي مخلاف من مخاليف اليمن من ناحية مكة ، وقد كانت ديانة اهلها النصرانية ، وقد قابلهم الرسول (7) في المباهلة. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص ص٢٦٦.٢٧١.

(٩) العذيب: وهو الماء الطيب بين القادسية والمغيثة ، وقيل هو واد لبني تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل هو حد السواد من جهة الغرب ، وهما عذيبان ، عذيب الهجانات وعذيب القوادس. وهما موضعان متقاربان. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٩٢.

(١٠) جدة: وهي بلدة على ساحل بحر القلزم (الاحمر) وبينها وبين مكة ثلاث ليالٍ. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص ص١١٤ . ١١٥.

وتختلف طبيعة شبه جزيرة العرب من منطقة الى اخرى ، فبعضها مغطى بالكثبان الرملية وهو اكثرها ، والبعض الاخر تشغله الجبال والاكام. وهناك اجزاء منها غوراً منخفضة، او نجد مرتفعة[١] الا ان سكان هذه البلاد جمعتهم ارومة واحدة فوحدت لسانهم ومشاعرهم وتوجهاتهم. ومع ذلك قسمها الجغرافيون المسلمون الى خمسة اقسام رئيسه متخذين من جبال السراة العالية والممتدة بالقرب من خليج العقبة شمالاً الى عسير جنوباً ، القاعدة الاساسية في تقسيماتهم[٢] وهذه الاقسام هي تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن.[٣]

اقسام شبه جزيرة العرب:

ميز الجغرافيون خمسة اقسام رئيسة في شبه جزيرة العرب هي:

١. **تهامة:** تهام هي وادي باليمامة وسميت تِهامة بهذا الاسم لشدة حرها، وركود ريحها وتغير هوائها، وسميت ايضاً باسم الغور والساحلية،[٤] وهي من اسياف البحر وتمتد تِهامة من اليمن جنوباً مروراً بالحجاز فلا تزال في تِهامة حتى تبلغ عُسفان،[٥] التي تقع بين مكة والمدينة وهي على ليلتين من مكة، وتكون تِهامة ما بين سلسلة جبال السراة وسواحل بحر القلزم (البحر الاحمر) والى العقبة شمالاً.[٦]

٢. **نَجْد:** تسمى ارض نجد ايضاً باسم العالية، وكل ما ارتفع عن تِهامة فهو نجد، وكل ما ارتفع عن بطن الرَّمة يخفف ويثقل فهو نجد،[٧] وتقع منطقة نجد في قلب شبه جزيرة العرب وهي منطقة

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص ص١٣٧ . ١٣٨.

(٢) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص٢ ؛ الشريف، احمد ابراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ص٢٢.

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٤٧ ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٣ ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٩ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص١٣٨.

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص٦٣ ؛ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب المحيط ، تح: عبد الله علي الكبير واخرون ، دار المعارف ، (القاهرة ، د.ت) ، ج١ ، ص٤٥٣.

(٥) عُسفان: قرية جامعة ، فيها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تِهامة غزاها النبي (7) وقد مضى من هجرته المباركة خمس سنين وشهران. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٤، ص١٢٢.

(٦) المصدر نفسه ، مج٢ ، ص٦٣ ، ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٨٥.

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٢٦١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص ص٤٣٤٥ . ٤٣٤٩.

واسعة تقع ما بين الحجاز والعذيب، وقيل ان المدينة من نجد،[١] واغلب مناطق نجد هي صحراء قاحلة مع وجود مناطق صغيرة صالحة للزراعة، تعتمد على المياه الجوفية، اذ توجد العديد من العيون والابار التي تساعد على ذلك فكونت منها واحات خضراء.[٢]

٣. العَرُوض: سميت العروض بهذا الاسم لاعتراضها بين اطراف اليمن والحجاز غرباً، والبحرين شرقاً، ونجران جنوباً ونجد شمالاً [٣] واكبر مدن منطقة العروض هي هجر[٤] ومدينة القطيف[٥] التي اخذت اسمها من قطف الثمر، وتكثر فيها عيون الماء[٦] ومن اشهر مدن العروض اليمامة[٧]، وتشتهر بكثرة نخلها وثمارها وتسكنها قبيلتي ربيعة ومضر.[٨]

٤. اليمن: سميت اليمن بهذا الاسم لتيامن الناس اليها، فلتأمت بنو يمن الى اليمن[٩] وتشغل اليمن معظم الرقعة الممتدة جنوبي شبه جزيرة العرب،[١٠] ويصفها القلقشندي قائلاً: ((ان اليمن من البلدان كثيرة الامطار وهي الى الحر أميل وفيها انهار كثيرة ومروج خضراء)) ،[١١] ولطبيعة ارض اليمن ومناخها اثر في تنوع منتوجاتها الزراعية والصناعية لذلك تتمتع بوفرة الخيرات قياساً من بقية

---

(١) الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح: احسان عباس ، ط٢ ، مؤسسة ناصر الثقافية، (بيروت، ١٩٨٠م) ، ص٥٧٢ ؛ البغدادي ، ابراهيم فصيح ، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ، ط١ ، دار الحكمة ، (بغداد ، ١٩٩٨م) ، ص١٨٩.

(٢) المصدر نفسه ، مج٢ ، ص٥٠٥ ؛ جواد علي ، المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ص١٧؛ هاشم يحيى الملاح ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٨م) ، ص١٤.

(٣) ابن خلدون ، العبر وديوان المبدأ والخبر ، ج١ ، ص٧٤.

(٤) هجر: هي قصبة البحرين وهي ناحية البحرين كلها على مقربة من اليمامة. ينظر: البكري ، معجم ما استعجم ، ج٤ ، ص١٢٣٣ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٣٩٣.

(٥) القطيف: وهي مدينة بالبحرين ومن اعظم مدنها، وان اهلها من قبيلة عبد القيس. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٣٧٨.

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٥٤ ؛ البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٦ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مج٤ ، ٣٧٨.

(٧) اليمامة: وهي مدينة ذات خير ونخل وشجر ، وكان اسمها قديماً جواً ، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٤٤٥.

(٨) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٨٧.

(٩) ياقوت ، معجم البلدان ، مج٥ ، ص٤٤٧.

(١٠) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص٩٩.

(١١) صبح الاعشى ، ج٥ ، ص٥. (ويقصد بالانهار هنا الوديان التي يجري فيها الماء في موسم المطر).

اجزاء شبه جزيرة العرب، وقد عمل اهلها بالتجارة وازدهرت اسواقها التجارية، ودعيت اليمن في الماضي ببلاد العرب السعيدة ومن اهم حاصلات اليمن الطيب واللبان.[١]

٥. الحجاز: الحجاز اقليم من الجبال يمتد من خليج العقبة شمالاً حتى منطقة عسير جنوباً، ويحده من الغرب منطقة تِهامة ومن الشرق نجد وهو جبال السراة[٢] ويتخلل الحجاز اودية كثيرة مثل وادي اضم، ووادي نضال، ووادي بدا[٣] ومن جبال الحجاز المشهورة جبل رضوى بين المدينة وينبع، ويتمتع الحجاز بأهمية دينية وتاريخية واقتصادية امتدت الى عهود موغلة بالقدم. فكان كغيره من مناطق شبه جزيرة العرب ذو اهمية خاصة، ومركزاً مرموقاً بين مراكز اعرق الحضارات القديمة ، فهو حلقة وصل بين العراق ومصر، وبلاد الشام واليمن، وقد عدّ في الاقليم الثاني من اقاليم العالم القديم[٤] ويقسم الحجاز الى ثلاثة مناطق مهمة شمالية ووسطى وجنوبية، اذ تمتد المنطقة الشمالية من العقبة شمالاً الى يثرب (المدينة المنورة) جنوباً، وتشمل مدن شمالي الحجاز مثل تبوك[٥] وتيماء[٦] وخيبر[٧] اما المنطقة الوسطى وهي اهم مناطق الحجاز لأنها تشتمل على مدن الحجاز الرئيسة وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة ، ثم المنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب الطائف حتى اطراف اليمن وفيها جبال الحجاز الاكثر ارتفاعاً.[٨]

تجارة الجزيرة العربية:

---

(١) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ط٣ ، (د.م ، ١٩٦٨م)، ج١ ، ص١١٦ ؛ الشيخ، حسين ، العرب قبل الاسلام ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية ، ١٩٩٣م) ، ص٦٢.

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٨٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٣٣١.

(٣) بدا: وادي قرب أيليه. وقيل بوادي القرى ، ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٣٥٦. (ولم اعثر على تعريف وادي اضم ووادي نضال وربما يكون سبب ذلك انهما غير مشهوري).

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ص٤٤.٤٧ ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص٢١٩.

(٥) تبوك: وهو موضع بين وادي القرى وبلاد الشام شمالي المدينة. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص ص١٤.١٥.

(٦) تيماء: بلد في اطراف بلاد الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج بلاد الشام. ينظر: ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص١٧.

(٧) خيبر: وتعني الحصن بلسان اليهود ، وتقع شمال المدينة في طريق بلاد الشام ، وقد فتحت سنة (٧هـ/٦٢٨م). ينظر: البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٩ ؛ الطبري ، محمد بن جرير ، == == (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف، (مصر ، ١٩٧١م) ، ج٣ ، ص ص٩-١٦؛ ياقوت ، معجم البلدان ، مج٢ ، ص ص٤٠٩.٤١١.

(٨) العلي، صالح احمد ، الحجاز في صدر الاسلام ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٩٩٠م) ، ص٦٥.

للجزيرة العربية تاريخ موغل في القدم، وهي من اقدم المناطق المعمورة بالاستقرار[١] ومساحتها كبيرة وهي متنوعة الاقاليم بين الصحارى القاحلة، والمرتفعات الوعرة والارض الخصبة نسبياً، ولكنها قليلة الامطار والانهار، وترتب على هذا ان التجمعات السكانية كانت متناثرة في المناطق والواحات التي يتوافر فيها الماء والكلأ المحدود. ووضع كهذا يصعب ان تتوافر فيه شروط قيام الحضارات وممالك مزدهرة معتمدة على امكانياتها الاقتصادية الذاتية، فلا يمكن ان تقوم حضارة مزدهرة في منطقة ما من دون حد ادنى من الموارد الاقتصادية ذاتية الديمومة والاستمرار.[٢]

ونظراً لتنوع اقاليم الجزيرة الشديدة الاختلاف وانفصالها عن بعضها البعض انفصلا يكاد يكون تاماً، فمن الصعوبة بمكان دراسة تاريخ تطور شعوبها كوحدة قائمة بذاتها من ناحية، ومن ناحية اخرى فان المناطق التي شهدت قيام تجمعات حضارية وازدهرت فيها الحضارة واتسمت عبر تاريخها الطويل بعدم الاستمرارية في المكان والزمان، وهذا يعود الى ظروف البيئة المحلية من جانب، والى عوامل خارجية ودولية واقليمية لها دور في نشأة وتطور وانهيار مواقع حضارية من ناحية اخرى، وهذه العوامل تتقدمها طرق الموصلات التي كانت تخترق الجزيرة العربية في كل الاتجاهات من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب، فكانت بمثابة الشرايين التي تغذي جميع مناطق المعمورة في الجزيرة، بل ان معظم هذه المواقع نشأت كمحطات تجارية على هذه الطرق، واهمية هذه الطرق ليس كونها تربط بين جهات الجزيرة فحسب بل اهميتها في كونها المعابر الاساسية لنقل التجارة العالمية بين شرق العالم القديم وغربه، وذلك لان موقع الجزيرة العربية بين بحر العرب والمحيط الهندي، وما يعنيه ذلك من اتصال بشعوب وحضارات الشرق العظمى مثل الصين والهند وبين شرق البحر المتوسط وما يعنيه من اتصال بشعوب وحضارات الغرب مثل الاغريق والرومان وتحكمها في ذراعي المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج العربي[٣] وبهذا الموقع جعلها حبل الوريد بالنسبة للتجارة العالمية وفي هذا المعنى يذكر احد المؤرخين: (وقد

---

(١) كانت صحراء الجزيرة العربية مروج خضراء آهلة بالسكان، كثيرة الامطار والسيول وذلك في العصر الجليدي، للمزيد ينظر: حتي، تاريخ العرب، ١٥/١.

(٢) الغنام، فصول، ص١٨.

(٣) منطقة الخليج العربي ارض سكنتها قبائل عربية قبل الاسلام ولم ينفك الانتشار إليها من الوطن الام(الجزيرة العربية) مستمراً متصلا، ويرجع استيطان العرب في منطقة الخليج الى عهود سحيقة في القدم، فوزي، الوسيط، ص٢٣، حيث تشير روايات تاريخية الى نزوح العمالقة اولاد عملاق بن لاوذ واولاد طسم بن لاوذ الى البحرين واستقرارهم هناك، الحموي، معجم البلدان، ٤١/١، والمعروف ان العمالقة وطسم من العرب العاربة(اليمانية) وجاء بعدهم العرب المستعربة (العدنانية) حيث نزحت قضاعة او بعض بطونها الى البحرين، ابن عبد البر، سبائك الذهب، ص١٩؛ البكري، معجم ما استعجم، ٢١/١.

استجاب العرب لمقتضيات جغرافيا بلادهم فوصفهم شبرنغر بأنهم مؤسسي التجارة العالمية في الازمنة القديمة).[١]

ازدهرت التجارة وتطورت في الجزيرة العربية، نتيجة انفتاحها على العالم الخارجي آنذاك واتصالها المستمر بأقاليم ومناطق الإنتاج والاستهلاك داخل أقاليم الجزيرة العربية وخارجها من الصين شرقاً وحتى اسبانيا غرباً وما بينهما، إذ كانت تصدر وتستورد ما يرد إليها.[٢]

ولهذا نجد جاليات عربية تجارية في مناطق متعددة من العالم، ومنها مدن البحر المتوسط، إذ ارتاد التجار العرب مدينة ديلوس[٣] وبقابله في ذلك امتد نشاط التدمريين التجاري في عهد ازدهارهم ليس فقط إلى المناطق والأقاليم المجاورة مثل مصر وبابل بل وصل إلى ((روما وداكيا (رومانيا) والغال (فرنسا) وإسبانيا))[٤] وفي الجانب الاخر نجد جاليات عربية تجارية في الهند وغيرها من المناطق ومنذ مدة قديمة، مثل مدينة جاوة[٥] وتعاملوا معها تجارياً، ونفس الحال ينطبق على المنطقة الممتدة بين مدغشقر[٦] وسومطرة[٧] ومن زمن يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد[٨]

---

[١] سحاب، ايلاف، ٣٥.

[٢] الغنام، فصول، ص٣٠.

[٣] ديلوس Delos مركز تجاري وفي عمق البحر المتوسط في هام كان يرتاده تجار من كافة أنحاء العالم، وكان هناك ثلاث جاليات عربية من معين والجرها والانباط نوره النعيم، المصدر نفسه، ص٦٠-٦١. ولعب مرفأها دوراً تجارياً رياديا في غاية الأهمية. وتوفّر جزيرة ديلوس شهادةً فريدة من نوعها عن الحضارات التي تعاقبت في عالم بحر إيجة من الألف الثالث قبل الميلاد وحتى الحقبة المسيحية القديمة. ويمتد الموقع الأثري على مساحة كبيرة استثنائية، ويعطي صورة جيدة عن مرفأ كبير متوسطي ومتنوع الأعراق.

[٤] نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم، ص١٤١.

[٥] جاوة (بالإندونيسية: Jawa) هي جزيرة في إندونيسيا، وبها عاصمة البلاد جاكرتا، تمتد جزيرة جاوة من الشرق إلى الغرب بنحو ١٠٠٠كم، ومن الشمال إلى الجنوب بنحو ٢٠٠ كم، وتتجه معظم أنهارها باتجاه الشمال، وتبحر فيها السفن في الفصل المطير، ويتجه القسم الآخر من أنهارها باتجاه الشرق مثل نهر برانتاس Brantas وطوله نحو ٣١٤ كم، وسولو Solo وطوله نحو ٥٥١كم، وتستخدم مياه الأنهار للسقاية بشكل رئيس، وتؤثر تيارات المحيط الهندي..

[٦] مدغشقر: جزيرة في المحيط الهندي قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لأفريقيا. الجزيرة الرئيسية، اسمها أيضا مدغشقر، هي رابع أكبر جزيرة في العالم.

[٧] تقع جزيرة سومطرة في أقصى غربي الجزر الإندونيسية الرئيسية، وذلك إلى الشمال الغربي من جزيرة جاوه وإلى الجنوب الغربي من شبه جزيرة الملايو.

[٨] سحاب، المصدر نفسه، ٢٦٧.

كما استقروا في مناطق متناثرة على طول ذلك الشريط[١] فضلا عن استقرار التجار العرب في سيلان [٢] ومن فترات زمنية بعيدة ترجع الى مئة سنة بعد المسيح تقريباً.[٣]

وكان الملاحون [٤] المتجهون من عدن إلى الهند أو القادمون إليها من هناك يحاذون الساحل في إبحارهم وبالتالي كانت المدن الساحلية في جنوب الجزيرة العربية ملتقى لشتى الجنسيات ولا سيما الهنود واليونان القادمين والذاهبين ومنهم من يستقر فيها ويقيم لفترات طويلة تصل احيانا الى الاستقرار النهائي في تلك المدن لغرض التبادل التجاري، وذلك تحت إشراف وسيطرة ومشاركة السكان العرب الاصليين[٥] كما كانت المدن الساحلية المطلة على الخليج العربي ملتقى لـ" التجار الهند والصين والشرق والغرب"، وفي هذا المعنى يذكر البغدادي (مرفأ دبا)[٦] الذي كان له دوراً متميزاً فيما ذكرناه، في حين يذكر جواد علي أنه " كانت بالأبلة التي عاشت قبل البصرة جاليات جاءت إليها من الهند، فقد كان التجارة بين الهند وجنوبي العراق وسواحل جزيرة العرب تجارة قديمة جداً، وقد اقامت جاليات أخرى منها في مواضع من هذه السواحل، وقد اشار إلى عثور العلماء على هياكل بشرية في أرض عُمان، تمثل (الدرافيديين) أي سكان الهند القدامى والى وجود أثر لملامح هندية في سكان عُمان تظهر عليهم اليوم"[٧] وفي زمن ازدهار بتراء، في شمالي الجزيرة العربية كانت كما يصفها سترابون " ملتقى الناس من شتى الامم، وأصبحت قاعات المحاكم (القضاء) فيها تغص بالغرباء "[٨] وفي هذا دليل على تعدد السكان وجنسياتهم الامر الذي يؤدي الى حصول مشاكل تتطلب عرض على القضاء، كما ان تجارها كانوا خليطاً من الانباط واليونان والعرب والسوريين والرومان وغيرهم ومن ثم كانت لغات مختلفة تسمع في أسواق المدينة– العربية

---

[١] ومنها منطقة تجارية عربية كانت موجودة على الشاطئ الغربي لسومطرة منذ بداية التقويم المسيحي سحاب، المصدر نفسه، ص٢٦٧.

[٢] سريلانكا أو سري لانكا والتي كانت تسمى بين ١٩٤٨ و١٩٧٢ باسم سيلان، واسمها الرسمي جمهورية سريلانكا الديمقراطية الاشتراكية (هي دولة جزرية تقع في شمال المحيط الهندي جنوب شبه القارة الهندية، في جنوب آسيا. لسريلانكا حدود بحرية، شمالاً، مع الهند.

[٣] سحاب، المصدر نفسه، ص٢٦٧.

[٤] وذلك قبل اكتشاف الرياح الموسمية.

[٥] Charlesworth, op. cit, p. 60.

[٦] البغدادي، المحبر، ص٢٦٥، نقلاً عن سحاب إيلاف، ص١٩٨.

[٧] المفصل، ٢/٢٥٦؛ الغنام، فصول، ص٣٤.

[٨] عباس، تاريخ، ص١٧.

والأرمية واليونانية واللاتينية والعبرية[١] ويعلق جواد علي[٢] على ذلك بان هناك جاليات يونانية كانت موجودة على سواحل بلاد العرب في مواضع غير بعيدة عن عدن، وقد استدعى هذا الى انشاء مواقع لضبط الامن في سواحل.

تجارة الجزيرة العربية مع الدولة الساسانية:

بعد قيام الدولة الساسانية، واتخاذ الفرس مدينة طيسفون (المدائن) عاصمة للدولة الفارسية بموقعها الاستراتيجي " لتصبح مستودع التجارة الشرقية طوال تلك الفترة حتى ظهور الاسلام"[٣] في القرن السابع الميلادي، لتسهم بشكل كبير في تحويل تجارة الشرق من البحر الأحمر وغربي الجزيرة العربية إلى طريق الخليج العربي وشرقي الجزيرة العربية، إلا أنه يبدو أن عرب الجزيرة ظلوا طوال تلك الفترة يسيطرون على جزء كبير من الملاحة في البحر العربي والمحيط الهندي والخليج العربي.

وطوال القرون الثلاثة بين قيام الإمبراطورية الساسانية وظهور الإسلام، ظلت تجارة نقل البضائع عبر الجزيرة العربية تتأرجح تارة نحو شرق الجزيرة بتأثير رجحان كفة الفرس وتارة نحو غربها برجحان كفة البيزنطيين نتيجة ذلك الصراع المستمر بين تلك القوتين، فدخلت الجزيرة العربية في طور من التقهقر والانحطاط وتفشي البداوة واستفحال الحروب القبلية.

وبعد سيطرة الفرس على اليمن صارت لهم الهيمنة السياسية والاقتصادية في معظم الجزيرة العربية، لا سيما السواحل الجنوبية والشرقية للإمبراطورية الساسانية إذ قام كسرى أنوى شروان قبيل وفاته سنة ٥٧٩م، بالتوجه " نحو عدن... ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل، وقتل عظماء تلك البلاد".[٤]

علاقة قبيلة قريش بالدولة البيزنطية:

---

(١) زيادة، شاميات، ص٣٩.

(٢) نحو" إشارة بليني Pliny إلى وجود جاليات يونانية على سواحل بلاد العرب في مواضع غير بعيدة عن موضع Attevae الذي هو عدن...، إلى وجود مستعمرات يونانية على سواحل جزيرة العرب، أنشئت قبل أيامه [أي بليني] لضبط الأمن في البحر وللإتجار مع العرب وبسط نفوذ الروم عليهم"، المفصل، ٢٧٧/٢.

(٣) سيد مقبول أحمد، نفسه، ص١١٩.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤٢٤/١.

لاشك أن هذه الظروف ولا سيما تضعضع مكانة اليمن بعد الاحتلال الفارسي، وتحول النقل البحري من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، والازدهار النسبي للنقل البري وسط وغربي الجزيرة العربية،[١] قد أسهم في تعزيز مكانة قريش وانضواء كثير من القبائل في إيلافها قد اوصل " المكيون قبيل الإسلام [٢] إلى درجة عظيمة في التجارة، فكان على تجار مكة اعتماد الروم في كثير من شؤونهم، حتى فيما يترفهون به (كالحرير) وحتى استظهر بعض مؤرخي الافرنج انه كان في مكة نفسها بيوت تجارية رومانية".[٣]

وتوج ذلك بمقابلة هاشم بن عبد مناف[٤] لقيصر بيزنطة والتي كانت تحمل الشيء الكثير من المعاني ليس منها بروز قريش كوسيط تجاري هام في نقل تجارة الشرق إلى الغرب وإلى بلاد القيصر، وأصبحت قريش بذلك هي الممثل الأبرز لقبائل الجزيرة العربية في العلاقات التجارية الدولية، إضافة إلى كافة بلاد القيصر ومن خلفها أوربا بصفة عامة وحوض البحر المتوسط، وسيط ينقل هذه التجارة إلى بلادهم، بعد ان سيطر وجود أعدائهم- الفرس- على جميع الطرق المؤدية إلى الشرق من البحر الأحمر والخليج إلى الطريق البري القديم –طريق الحرير- عبر آسيا

---

(١) كانت الجزيرة العربية تسعى للخروج من الكساد الكبير الذي طرأ على تجارتها جراء مجيء البطالمة ومن ثم الرومان وتحويلهم تجارة النقل البري بواسطة القوافل إلى البحر وتضاؤل دور العرب كنقلة للتجارة العالمية وما تبع ذلك من حصار شبه دائم للجزيرة العربية حتى انهارت طرق القوافل المزدهرة ومراكزها التجارية، فقد تدهورت ممالك اليمن في الجنوب وضمرت تجارة بتراء بعد استيلاء الرومان عليها سنة ١٠٦م حتى تلاشت تماماً بعد ذلك وأصبحت خراباً، ثم تبعتها تدمر بتدميرها على يد الرومان سنة ٢٧٣م وما ترتب على ذلك كله من انتشار البداوة على حساب المدن ومواطن التحضر كما ترتب عليه بالضرورة ضعف القبائل اليمنية التي كانت لها السيطرة على معظم أنحاء الجزيرة العربية تبعاً لمكانة وسيطرة دوها في الجنوب على مراكز وطرق ومحطات القوافل العابرة للجزيرة العربية.

(٢) عندما كان العداء بين الفرس والروم بالغا منتهاه من القوة والصراع على المصالح.

(٣) يستخدمها الرومانيون للشؤون التجارية والتجسس على أحوال العرب، كذلك كان فيها افراد من الحبشة ينظرون في مصالح قومهم التجارية، أمين، فجر الإسلام، ص١٣.

(٤) هاشم بن عبد مناف الجد الثاني لرسول الله. عظم قدره بعد أبيه، وإليه يُنسب الهاشميون. وهو أول من سن الرحلتين لقريش: رحلتي الشتاء والصيف إلى متجرتي اليمن والشام وأول من أطعم الثريد بمكة. يقول ابن إسحاق أن اسمه كان عمرو وأن تسميته هاشم كانت لهشمه الخبز لعمل الثريد بمكة لقومه سنة المجاعة، وفي ذلك قال مطرود بن كعب الخزاعي:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف

كان هاشم موسراً غنياً، ويعمل بالتجارة، وكان يتولى أمور السقاية والرفادة. توفي بمدينة غزة من أرض الشام في فلسطين عند بني عم قبيلة قريش و هم بنو عمرو بن كنانة، وقبره معروف هناك بمسجد السيد هاشم. ولذلك تدعى مدينة غزة بغزة هاشم. وكان قد تزوج من أهل يثرب من قبيلة بني النجار

الوسطى، وما الاحترام الكبير الذي ناله هاشم بن عبد مناف اثناء مقابلته لقيصر، إلا تعبيراً عن الحاجة الماسة للدور الذي أصبحت تقوم به قريش في هذا المجال.[١]

ان نجاح هاشم وأخوته، عبد المطلب وعبد شمس ونوفل، من ابرام اتفاقات، هي أشبه بالعقود التجارية مع القبائل والأقاليم والدول داخل الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها، إذ ابرمت مع قبائل اليمن ونجاشي الحبشة وامراء غسان ولخم بل وربما مع كسرى فارس وقيصر الروم[٢] وهي مرحلة جديدة في تاريخ الجزيرة العربية احتلت فيها قريش مكانة الصدارة بين قبائل العرب جميعاً، كما انه يمثل مرحلة انتعاش للحركة التجارية التي وصلت إلى مرحلة متدنية قبيل تلك الفترة مما انعكس سلباً على الأحوال المعيشية وتدهور مراكز الحضارة وتفشي البداوة والحروب القبلية في معظم أنحاء الجزيرة العربية. وما الحروب التي وصلت إلينا اخبارها والمعروفة بأيام العرب كحروب داحس والغبراء والبسوس...الخ إلا ترجمة لتردي الأوضاع الاقتصادية، وان اتشحت بأغطية من التبريرات الخادعة مثل الثأر والكرامة... الخ.

في الفترة التي سبقت أنبثاق الدعوة الإسلامية يلاحظ تلاشي مثل هذه الحروب وشيوع أجواء من التصالح في أجواء الجزيرة العربية متمثلة في صور منها:

- إيلاف واتفاقات قريش مع القبائل الساكنة على طريق القوافل.
- انتعاش الأسواق التجارية التي تحول بعضها إلى منتديات أدبية إلى جانب دورها التجاري مثل اسواق عكاظ وذي المجاز والمشقر ودومة الجندل وغيرها،١.
- اهتمام غير عادي بالشعر واللغة متمثلاً في عقد الندوات وتحكيم ما عرف فيما بعد بالمعلقات.
- بروز قمم أدبية نالت الاعتراف والاحترام وقبول أحكامها الأدبية عل تلك المعلقات ومنح الجوائز.
- عادت قيم وتقاليد كادت تنقرض قبل قيام الأسواق في أزمنة وأمكنة محددة أضفت عليها حرمة وتقديساً حرمت فيها الحروب والاقتتال

---

(١) الغنام، فصول، ص٣٨.

(٢) لداداه، جزيرة العرب، ص٢٤٤.

- شيوع الأمن وازدهار التجارة. كما اكتسبت الأسواق طابعاً دولياً إذ يرتادها المهتمون بالتجارة من الدول المجاورة ولا سيما الفرس والرومان والأحباش.[١]

وهكذا بدأ يعود لسكان جزيرة العرب صفتهم القديمة، وهي الصفة التي عرف بها العرب في العصور القديمة، صفة التجارة والتجار بعد أن كادت تختفي هذه الصفة ويحل محلها صفة البداوة والنزاعات والحروب القبلية وقطع الطرق، واكتسبت قريش على وجه الخصوص هذه الصفة واصبحوا يدعون (قريش التجار)[٢] ووصف أحد المكيين " أنه ليحيل بالتجارة رمل الصحراء ذهباً".[٣]

وبرز في قريش أثرياء وذوو أموال طائلة أوردت المصادر الإسلامية أخبارهم مثل عبدالله بن جدعان وعبد الرحمن بن عوف وأمية بن خف وأبي لهب وورد في القرآن الكريم آيات تثني أو تؤنب سلوك بعضهم تبعاً لحسن أو سوء تصرفهم تجاه تجاراتهم وأموالهم منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[٤] ، وكذلك قوله عزل وجل: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾[٥] وقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٦]، وغيرها من الآيات الكريمة.

التجارة عند ظهور الإسلام:

شهد القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي متغيرات كبرى على التجارة في الجزيرة العربية، فلا شك أن محاولة المسلمين بقيادة الرسول (ﷺ) التعرض للقافلة التجارية القادمة من الشام[٧]

---

(١) ذكرنا سابقا: "وعلى تجار مكة كان يعتمد الروم في كثير من شؤونهم، حتى فيما يترفهون به- كالحرير- وحتى يستظهر بعض مؤرخي الفرنج أنه كان في مكة نفسها بيوت تجارية رومانية يستخدمها الرومانيون للتجارة والتجسس على أحوال العرب، كذلك كان فيها أحباش ينظرون في مصالح قومهم التجارية" أحمد أمين، نفسه.

(٢) تيزي، نفسه، ص٧٦.

(٣) المرجع السابق، نفسه.

(٤) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٥) سورة التوبة: الآية ٥٥.

(٦) سورة التوبة: الآية ٣٤.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٧.

بقيادة أبي سفيان بن حرب، وما تلى ذلك من وقوع معركة بدر الكبرى[١]، وهزيمة قريش، صاحبة الإيلاف، وما أعقب ذلك من غزوات وسرايا لنشر الدعوة الإسلامية[٢]، وكانت بمثابة ضربة قاصمة لحركة النقل التجاري.

ثم تلى ذلك حروب الردة في زمن الخليفة الأول أبو بكر ليتضاعف التأثير السلبي على تلك الحركة. ثم جاءت حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية ليشكل تغييراً هائلاً ليس فقط على ساحة الجزيرة العربية وإنما على الساحة العالمية بوجه عام.

استغرقت حركة التغيير هذه قرابة قرن كامل تغيرات خلالها التركيبة السكانية (الديموغرافية) لمعظم مناطق الجزيرة العربية بوجه عام، والمدينتين المقدستين (مكة والمدينة) بوجه خاص، حيث نزح كثير من طبقتها الفاعلة إلى الامصار الجديدة مثل الكوفة والبصرة ودمشق والفسطاط وغيرها من عواصم البلاد المفتوحة.[٣]

ومن جانب آخر، تدفقت أموال غنائم الفتوحات لتحل محل التجارة وانغمست شرائح من المجتمعات في الجزيرة العربية ولا سيما في مكة والمدينة في بحر من الثراء السهل. وما ترتب على ذلك من ترف وإسراف في المشرب والمأكل والغناء والطرب. وساعد على ذلك اتجاه خلفاء بني أمية إلى تعويض تلك المدينتين ما فقدتاه من نفوذ سياسي، بانتقال عاصمة الخلافة إلى دمشق، بإغداق الأموال على شكل هبات وإقطاعيات للأراضي للطبقة الفاعلة في مجتمعيها.

ويبدو أنه في قمة الفتوحات الإسلامية نشط نوع من التجار المرافقين للجيوش الإسلامية لتزويدها بما تحتاج أو شراء غنائم الحرب من المقاتلين، كما نشط سوق السلاح حيث ازداد استيراد السيوف الهندية واليمنية، كما بلغت ارباح بعض المتاجرين، بأنواع معينة من البضائع، مبالغ خيالية فقد اشترى عبدالله بن عمر من مغانم جلولاء بأربعين ألفاً وباعها في الحجاز بأربعمائة ألف،بربح ١٠٠٠% ولكن الخليفة لم يوافق على كل هذا الربح وقال له: " إني معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش لك الربح الدرهم درهماً" .[٤]

---

[١] للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة، ٢٥٨ وما بعدها؛ ابن الاثير، الكامل، ١١٦/٢-١٢١؛ السامرائي، عصر الرسالة، ص٩٦ وما بعدها.

[٢] للمزيد ينظر: ابن هشام، السيرة، ٤٧/٣ وما بعدها؛ السامرائي، عصر الرسالة، ص١٠٤ وما بعدها.

[٣] الخيرو، تجارة الخليج، ص٦٧.

[٤] بروكلمان، العرب والإمبراطورية العربية، ص٣٤؛ نقلاً عن: علي الناصر، النشاط التجاري، ص١٩٤.

إلا أن ذلك لا يعني توقف حركة التجارة والنقل ببين اقاليم الجزيرة العربية داخلياً، وبينها وبين الأقاليم والمناطق الخارجية، فزوال الحكم الفارسي عن اليمن بعد سقوط دولة الفرس مهد لعودة الاتصال بين العرب ومواطن متاجرتهم القديمة في شرق أفريقيا والهند والصين منذ وقت مبكر، فقد روي " إن الخليفة عثمان بن عفان أرسل إلى بلاد الصين سنة (٣١هـ/٦٥١م) وفداً إسلامياً وان التجار المسلمين تعاقبوا مع الوفود الإسلامية على الصين، فبلغ عدد المسلمين نحو اربعة آلاف نسمة في العاصمة من ذلك التاريخ ".[١]

وعادت إلى الازدهار – النسبي– بعض الموانئ لزيادة حركة النقل البحري في تلك الفترة؛ فقد أصبحت الجار الميناء الرئيسي للمدينة المنورة تستقبل السفن القادمة من صمر والحبش والهند والصين واصبح البحر الأحمر يعرف باسم بحر الجار[٢] للأهمية التي اكتسبها هذا الميناء.

ومثل ذلك جدة التي تأسست سنة (٢٦هـ/٦٤٦م) في عهد الخليفة عثمان لتصبح الميناء الرئيسي لمكة المكرمة بعد أن حلت محل الشعيبة، ميناء مكة القديم. وأطرد نموها حتى أصبحت من أهم موانئ البحر الأحمر تستقبل السفن القادمة من مصر واليمن والهند وغيرها[٣]، وتشهد مواسم الحج نشاطاً كبيراً حيث يأتيها آلاف الحجاج من أنحاء العالم الإسلامي يتبادلون بيع وشراء البضائع التي يجلبونها معهم من بلادهم " ولذلك أصابت جدة أرباحاً عظيمة وأصبح لأهلها تجارات فكنات أسواقها عامرة بالسلع والبضائع التي يصدر بعضها إلى مكة والمناطق القريبة منها، كما كانت الميناء الذي تنتقل عن طريقه تجارة مكة وما حولها إلى خارج الحجاز"، كما تم إعادة حفر القناة التي تصل ما بين البحر الأحمر ونهر النيل في عهد الخليفة عمر بن خطاب[٤] وفي الخليج أصبحت دارين، في تلك الفترة " مرفأ سفن الهند المحملة بأنواع الطيب، تستورده من الهند وتصدره إلى البصرة وإلى الجزيرة العربية[٥] " وازداد انتشار العرب في السواحل الهندية بشكل ملحوظ وأسسوا " إمارات في الهند تسكنها جاليات عربية باسم (عربتو) وازدهرت التجارة وانتشر تجار

---

[١] فيصل السار، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية، ص١١٣.

[٢] عبدالله السيف، الحياة الاقتصادية، ص١١٧.

[٣] الحميري، الروض المعطار، ص١٥٧.

[٤] قول د. فيليب حتي، العرب، تاريخ موجز، ص٢٨-٢٩.

[٥] الخيرو نفسه، ص٦٦.

العرب والمسلمون في أنحاء البلاد الهندية وامتلكوا الكثير من الموانئ الممتدة من العراق إلى الهند وأسسوا إمارات حكمها رجال من العرب".[١]

الصادرات:

تنوعت صادرات الجزيرة العربية وحسب طبيعتها ارضها، وتعد البحرين امتدادا جغرافياً وتضاريسياً لشبه الجزيرة العربية، وتغطي أرضها نسبة من الرمال والهضاب التي لا تسمح لقيام الزراعة فيها، وبهذا تكاد تكون الزراعة في البحرين محصورة بين الوديان وعلى العيون والآبار [٢]، ويتضح إن القرى الزراعية كانت تنشا على العيون وبعض مجاري المياه [٣]، وفي هذه القرى تقوم الزراعة القليلة والتي لا تشكل أهمية اقتصادية تذكر في البحرين ومع هذا فان النخيل علامة بارزة في اقتصاد البحرين الزراعي[٤]، ولهذا ذكر الاصطخري في هذا المعنى (وهي أكثر تموراً)[٥] وكما ذكرنا هناك مدنا اشتهرت بزراعة النخيل في البحرين مثل طاب[٦] والعسايم.[٧]

وتأتي بعد النخيل في الأهمية زراعة الحبوب من الحنطة والشعير ولكنها لا تكفي الحاجة المحلية ولهذا كان التمر يستبدل بالحنطة[٨] لتأمين الحاجة المحلية، وكانت في بعض المدن مصائد اللؤلؤ التي اشتهرت فيها البحرين فيذكر المقدسي ذلك بالقول (اللؤلؤ في الأقاليم بحدود هجر يغاص عليه بإزاء أوال)[٩] في حين يذكر أبو الفدا ان (أوال وبها مغاص يفضل على غيره)،

---

[١] الخيرو، نفسه، ص٦٦، العزام، فصول، ص٤٠.

[٢] مناخ البحرين جزء من مناخ الجزيرة العربية الذي يتصف بوجه عام بأنه حار لقربه من خط الاستواء، وبتفاوت درجة الحرارة بين الليل والنهار ويتعرض البحرين لهبوب الرياح الرطبة أثناء أيام الخريف وهو على العموم كثير الرطوبة قليل الأمطار حتى يقال (من سكن البحرين عظم طحاله). ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص٨٣؛ ابن خرداذبة، المسالك، ص١٧١؛ الحديثي، البحرين، ص٣٣ ٣٥٦.

[٣] أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٩٨؛ الحديثي، البحرين، ص٤٧.

[٤] الحديثي، البحرين، ص٤٧.

[٥] الاصطخري، مسالك، ص١٩.

[٦] طاب: قرية لعلها سميت بهذا التمر الذي تنتسب بها، أبو الفداء، تقويم، ص١٩.

[٧] السعايم هي نخيل بناحية الإحساء وهجر.

[٨] أبو الفداء، تقويم، ص٩٩.

[٩] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠١.

وكذلك الحال بالنسبة لـ(القطيف)[١] في حين نجد وقوعها على الطريق البحري كانت له أهمية في ازدهار مالية البحرين لأنهم كانوا يستحصلون الضريبة المفروضة على السفن، وفي ذلك يقول ابن حوقل (وأوال وهي جزيرة... وبها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم... وبها أموال وعشور ووجود مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف)[٢]، بالإضافة إلى ما يرد إليهم من مال البصرة والكوفة وما يقبضونه من الحجاج وقت سيطرة القرامطة عليها ومن (مال عمان والغنائم) دون الخمس الخاص عندهم لصاحب الزمان ألف ألف دينار وربما زاد المائة والمائتي ألف دينار[٣] أما بلاد عمان فتقع في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة العربية وهي تطل على كل من البحر العربي والخليج العربي، وهي تتصل من الشمال بالبحرين ومن الجنوب بالشحر، أما من الغرب فهي تتصل بالربع الخالي، ومن الطبيعي ان حدودها في الشرق والجنوب الشرقي هي البحر،[٤]

ولهذا نجد تنوع في صادرات عمان والتي يتصدرها اللؤلؤ وهو من النوع الجيد والتي توجد مغاصاته في مسقط وصور ومن أشهرها الدرة النوءامية التي تنتسب إلى نوءام إحدى مصائد عمان [٥]، وكذلك الدرة اليتيمة التي استخرجت من عمان في أوائل العصر العباسي والتي اشتراها الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) في أوائل العصر العباسي بسبعين ألف درهم كما اشترى لؤلؤة أخرى بثلاثين ألف درهم،[٦]

وكان في عمان ينابيع وأودية تتوفر فيها المياه وارض صالحة للزراعة ولهذا كانت تنتج محاصيل زراعية متنوعة منها التمور بأنواعه[٧]، والفواكه كالرمان والتين والعنب والنبق او البندق

---

[١] أبو الفداء، تقويم، ص٩٩ و ص٣١٧.

[٢] ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٣.

[٣] المصدر نفسه، ص٣٥.

[٤] العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، عمان في العصور الإسلامية، منشورات جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧م، ص٢٧.

[٥] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، المخصص، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ٥١/٤.

[٦] العاني، عمان، ص٢٧.

[٧] كان هناك أصناف جيدة من التمور منها التبني والبطهق والفرض والخيوت. العاني، عمان، ص٣٤.

[١] والسفرجل والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر والانبج وهو نوعان احدهما ثمرته يشبه اللوز وهو حلو والآخر ثمرته تشبه الأجاص[٢]، ويبدو وان إنتاجها المحلي كان يستهلك في الداخل.

كما اشتهرت عمان بصناعة المنسوجات وأهمها الصحارية نسبة إلى مدينة صحار، حيث تعتبر مركز النسيج في عمان فضلا عن تروق التي كانت تنتج نوعا من الثياب وصفها الحموي بأنها (متمتعة بالحرير، جيدة فائقة لا يعمل من بلاد العرب مثلها وميازر من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها)[٣]، وهذه المنسوجات مشهورة في التجارة ومن المحتمل ان هناك أنواع أخرى من المنسوجات تستهلك محليا، كما وتوجد صناعات أخرى منها صناعة الصموغ من نبات الصبر والضجاج، كما وينتج الحمر وهو التمر الهندي ويستعمل للطبخ ونباتات أخرى منها المقل يستخدم في صناعة الأدوية.[٤]

الواردات:

أدى هذا الازدهار الحضاري إلى زيادة الطلب على السلع التي كانت ضرورية لتلك الحضارة، لا سيما وان بلاد الإسلام من الشرق إلى الغرب كانت تنتج معظم المنتجات التي يحتاجها الناس في حياتهم، ولكن نتيجة لاختلاف المناطق وطبيعتها جعلها تحتاج إلى السلع والصناعات ومحاصيل من الهند والصين وجنوب شرق آسيا فضلا عن إفريقيا وغيرها، ومن تلك السلع:

١. **الذهب:** كان الذهب منذ مدة طويلة يستخدم في صناعة الحلي وأدوات الزينة وزخرفة الآنية والأثاث، وقد تم للعرب هيمنتهم على مناجم الذهب العالمية وأباحوا حرية التجارة فازداد تصدير الذهب إلى بلاد المشرق، وتعد إفريقيا مصدر مهم لإنتاج الذهب، ومنه يتزود المسلمين، واهم مناجمها سفالة الزنج[٥]، وقد وصفها البيروني سفالة الزنج بأنها في غاية الحمرة ولم يكتفي بذلك بل

---

[١] الاصطخري، مسالك، ص٢٥، طبعة ليدن، ١٩٢٧م؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٨.

[٢] العاني، عمان، ص٣٤.

[٣] الحموي، معجم، ٢٨١/٥؛ العاني، عمان، ص٣٩.

[٤] العاني، عمان، ص٣٥–٣٦.

[٥] سفالة الزنج هي موزنبيق الحالية. الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٤٩.

أورد طريقة استيراده[١] وكذلك جزيرة قنبلو (مدغشقر)[٢]، كما وينتج أيضاً بكميات متفاوتة في أقاليم الهند والشرق الأقصى[٣] وغيرها[٤]، وقد ظل الذهب وسيلة التبادل الرئيسية المعتمدة في التجارة الدولية مع الهند والشرق الأقصى.

٢-**العاج:** وكان يجلب من الهند[٥] وجزيرة ندمان[٦] وبلاد الزنج.[٧]

٣-**المعادن:**ومنها القصدير والرصاص ويجلب من كله[٨]، والتوتيا كان يجلب من الهند والصين.[٩]

٤-**العبيد:** يرجع وجود الرق في الشرق الأوسط إلى فترة قبل الإسلام، وبعد الإسلام،الذي ادخل عليه بعض التعديلات ولكنه لم يلغه[١٠] وذلك لحاجة الأمصار إلى العبيد لاستخدامهم في الصناعة والإعمال البيتية[١١]، فضلا عن استخدامهم في التجارة والزراعة[١٢]، وكان العبيد يستوردون من

---

(١) البيروني، أبو الريحان محمد احمد (ت٤٤٠هـ)، الجماهر من معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن ١٣٥٥٢هـ، ص٢٣٩.

(٢) شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٢٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البحر والبحر، لايبزك، ١٩٢٣م، ص١٦٢.

(٣) ابن سعيد المغربي، علي ابن موسى(ت ٦٨٥ هـ)، كتاب الجغرافية، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٠٧.

(٤) ومنها قامرون وبلاد الستيلا... الخ. أبن خرداذبة، المسالك، ص٦٧، ص٦٩؛ العاني، عمان، ص١١٢.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٤٨١.

(٦) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، ص١٠٧.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ٦/٢؛ العاني، عمان، ص١١٣.

(٨) ابن خرداذبة، المسالك، ص٦٦، ص٧١.

(٩) العاني،عمان،ص١١٣.

(١٠) السامر، فيصل، ثورة الزنج، ط٢، مكتبة المنار، بغداد، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٧١م، ص١٣ وما بعدها.

(١١) العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص٦٦.

(١٢) السامر، ثورة الزانج، ص٢٧.

جهات متعددة، منها أواسط شرق افريقية، ولا ريب ان العبيد في هذه المناطق هم من السود، كما وجاءوا بهم من الهند والسند وسفالة الزنج[١] وغيرها.

٥-**البهارات:** كانت البهارات تستخدم لحفظ المأكولات وتنويع طعمها وزيادة الشهية فيها، فضلا عن ان بعض النباتات هي المصدر الرئيسي لاستخدام العطور اللازمة للترف والراحة، هذا إلى جانب ان بعض النباتات هي المكون الأساس للعقاقير والأدوية. وكانت تجلب من ملي وستيدان وسرنديب[٢] وجزيرة قنبلو[٣] وشرق افريقية ومليبار[٤]، ومع هذا لم تحدد المصادر العربية المدن والبضائع التي يستورد المسلمون منها هذه المحاصيل، ومن المحاصيل المستوردة كذلك القرنفل والتي يتصدر في إنتاجها الهند[٥] وشلاهط[٦] وغيرها.[٧]

٦-**العطور:** من المعلوم ان العطور تستخرج من المواد النباتية والإزهار، وان العالم الإسلامي ينتج كثيرا من الإزهار التي نستخلص منها العطور، مثل ورد والنرجس والياسمين، غير ان أنواع أخرى من العطور المهمة كانت تفتقدها بلاد الشرق الأوسط فتستوردها من البلاد المنتجة لها وخاصة افريقية وبلاد المحيط الهندي، ومن هذه العطور المسك وتذكر المصادر العربية انه كان يجلب من الصين [٨] الهند[٩] وغيرها [١٠]، ويذكر الأصفهاني انه احدهم دخل على الخليفة هارون الرشيد

---

[١] بزرك، عجائب الهند، ص٥١ وص١٤١؛ العاني، عمان، ص١١٦-١١٥.

(٢) ابن خرداذبة المسالك، ص٧٢-٦٢.

[٣] شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٦٢.

[٤] ابن سعيد، كتاب الجغرافية، ص١٥، ص١٢٠؛ العاني، عمان، ص١١٧.

[٥] ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٠.

[٦] المصدر نفسه، ص٦٦.

[٧] وكذلك بركابيل وهي جرر في المحيط الهندي. العاني، عمان، ص١١٨.

[٨] ابن خرداذبة، مسالك، ص٧٠.

[٩] القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ)، صبح الأعشى صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ١٢١/٢-١٢٢.

[١٠] كذلك كان يجلب من النبت. القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي ت٨٢١هـ، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: علي الخاقاني، بغداد، ١٩٥٨م، ١٢٠/٢.

ببرنية فيها غالية[١] فوضعها بين يديه ثم قال (هذه يا أمير المؤمنين غالية صنعتها لك بيدي، اختير عنبرها من شجر عمان، ومسكها من مفاوز التبت وبأنها من قصر القامة، فالفضائل كلها مجموعة فيها والنعت يقصر عنها)[٢]، ومن مواد العطور الأخرى العنبر الذي كان يجلب من بلاد الزنج[٣] والهند[٤] وغيرها[٥]، وكذلك العود، الذي كان يجلب من الصين والهند وملايو[٦] وبداخ[٧] ومن العطور الاخرى الكافور وهو يستخرج من جذوع ورق شجر يعيش في الملايو وسومطرة والصين واليابان[٨] وغيرها[٩]، وعن طريق العرب تم إدخاله إلى أوربا في القرن الأول والثاني الهجري[١٠].

٧.الأخشاب: وهي من المواد الأساسية في الصناعة حيث تستخدم في صنع الأثاث البيتية، وفضلا عن استخدامها في صناعة السفن وغيرها من الأغراض، ونتيجة لقلة إنتاجها في بلد الشرق الأوسط، فقد ظهرت الحاجة إلى استيرادها من مناطق إنتاجها، ومن أهم الأخشاب المستخدمة بكثرة في الحضارة الإسلامية هو الساج الذي يستخدم بكثرة في الحياة اليومية، وقد استخدمته البصرة وبغداد كثيراً، ويجلب من الهند والسند[١١] والزنج[١٢]، ومن الأخشاب المهمة الخيزران الذي يستعمل للرماح وهي أهم أسلحة الفرسان في الجيش العربي، كما اشتهرت الرماح الخطية التي تستورد قناها

---

(١) الغالية، وهي أعلى أنواع العطور في العصور الإسلامية، ولأهميتها كانت تصنع من المسك. العاني، عمان، ص١١٩.

(٢) الأصفهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٢٢هـ، ٢٥٩/١٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١٥٠/١.

(٤) القلقشندي، نهاية الإرب، ١٢٤/٢.

(٥) كما كان يجلب من وقنبلة وسرنديب وجزر نجبالوس. العاني، عمان، ص١١٩.

(٦) Miller, J. Innes, The Spice Trade of Roman Empire, oxford, 1969, P. 40-41.

(٧) كان يستورد كذلك من سفالة والهند فنصور، وكلة والصين... الخ. العاني، عمان، ص١٢٠-١٢١.

(٨) Miller, The Spice Trade, P.40-41.

(٩) كما يستورد كذلك من سفالة والهند وكله والصين... إلخ، العاني، عمان، ص١٢٠-١٢١.

(١٠) Miller, The Spice Trade, P.40-41

.

(١١) المسعودي، مروج الذهب، ٩/٢؛ ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، ص١١٩.

(١٢) العاني، عمان، ص١٢١.

من الهند[١] السند[٢] وجزيرة الرامي[٣] وكله[٤] ومن أنواع الخشب الأخرى الأبنوس الذي كان يجلب من بلاد الزنج[٥]، وكذلك الصندل[٦] الذي يجلب من الهند[٧] وشلاهط[٨] وغيرها. [٩]

٨-**المنسوجات:** كان العالم الإسلامي ينتج كميات كبيره من الحرير، ولديه مراكز كثيرة الإنتاج هذا النسيج، ومع هذا كان هنالك استيراد للمنسوجات الحريرية والديباج من الصين[١٠]، و لسد النقص في الإنتاج المحلي من جهة ولاحتواء تلك المنسوجات على النقوش والصور[١١]، ولكن يبدو ان استيراد مثل هذه المنسوجات كان على شكل ضيق ولفئات معينة من المجتمع. كما استوردوا من الهند الثياب القطنية المحلية كذلك الثياب المتخذة من الحشيش.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/١٣٣-١٣٤؛ العاني، عمان، ص١٢٢.

(٢) ابن خرداذبة، المسالك، ص٦٢ وص٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٥) العاني، عمان، ص١٢١.

(٦) العود الطيب الرائحة، ويكون احمر واصفر وابيض وسمية العاني الصندل التفاح. الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ)، رسوم دار الخلافة، دار الإنفاق، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٠١.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٠.

(٨) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٩) كما يستورد كذلك من عمان والصين. العاني، عمان، ص١٢٣.

(١٠) ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٠.

(١١) العاني، عمان، ص١٢٤.